

للإنسان حرمان مصونة



الانسان في القرآن كيان محترم.. عالم مصون يحضى بالرعاية والعناية.. وله حقوق وكرامة وحيثية محفوظة لا يمكن التجاوز عليها.. وردت مئات الآيات تنهى عن البغي والمنكر والعدوان والاعتداء والتجاوز على حياة الانسان وماله وعرضه وكرامته وتدهو لحفظ حقوقه وحماية شخصيته.. فالإنسان كيان يحظى بالعناية والتكريم في منهج القرآن وثقافته، وفي التشريع والإلزام القانوني الجنائي.. واعتبر القرآن الاعتداء على حياة الإنسان أو ماله أو كرامته أو عرضه أو حقوقه الادبية من أكبر الجرائم.. يستحق الفاعل لها العقاب والجزاء القضائي كما يستحق العقاب الاخروي يوم الحساب، ويجنى عقاباً الهياً في عالم الدنيا أيضاً.. فمن يسيى الى أحد يلقي من يسيئ له في الحياة عقوبة وجزاء الهياً.. ومن يهين مؤمناً يهينه
□ ومن يفضح انساناً يفضحه □..

وهكذا فقد شرع الاسلام مجموعة من العقوبات القضائية والاجتماعية وعقوبات تقع على المعتدي والمتجاوز على حرمان الناس وكراماتهم وحقوقهم.. وذلك عدل من □ سبحانه، وحكمته في تنظيم الحياة، وتوفير الضوابط التي تصبغ النظام الاجتماعي وتحقق التعايش السلمي والسلم الاجتماعي بين الناس، وتحفظ حقوق الافراد وكراماتهم.. والإنسان مدعو في الثقافة الاسلامية الى أن يحفظ كرامته ويحترم الشخصية ليجترمه الناس سواء في كلامه أو لباسه المحتشم أو تصرفه أو تجنب مواطن الشبهة والتهمة ليحظى باحترام

لَعَلَّكُمْ تَتُرَدُّونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِيُتْسِ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَلِيحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات / 10-13).

ونقرأ في سورة اخرى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النور / 19). (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (النساء / 111-112).

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَّا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِّن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الاحزاب / 59,58).

تبدأ هذه المنظومة من النصوص القرآنية النيرة البناء في اطار المجتمع الاسلامي وتثبت مفاهيم الاخوة وقوة العقيدة والمساواة في الانسانية، وفي الحقوق بين المؤمنين جميعاً وتدعو الى الإصلاح في حال حدوث المشاكل والخلافات والمنازعات لتحقيق مفاهيم الاخوة سلوكاً وعملاً.. فالأخ لا يحمل الا الود أو المحبة والاحترام لأخيه وهذا ما يستبطنه النص ويشع به.. فان حدثت المشاكل في جانب من المجتمع وجب على الاخرين اصلاحها، وليس التفرج عليها أو صب الزيت على النار أو استغلالها وتوظيفها لصالح فئة، أو سلطة، أو أشخاص، وكأنهم يجسدون القول القائل: "مصائب قوم عند قوم فوائد".

ثم يستأنف القرآن حديثه ليخاطب المجتمع المسلم: (يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم...).

يا من آمنتم بالاسلام رسالة ومنهجاً وشريعة في الحياة.. يا من امنتم باﻻ واليوم الاخر.. انكم مطالبون بتطبيق وتنفيذ احكام الشريعة واخلاقها واهدافها في الحياة.. احترموا الناس الاخرين، ولا تتجاوز على كراماتهم وحرمتهم..

في سورة الحجرات، وفي سور أخرى نقرأ منظومة من الآداب والتعاليم الاجتماعية التي تحفظ حرمة الانسان وكرامته.. فالقرآن ينهى عن السخرية من الاخرين.. وينهى عن اللمز ويهني عن التناز باللقاب ويتوعد الذين يحبون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ويلعن الذين يرمون المحصنات بالفاحشة ويتوعدهم بالعقاب، وكذا الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اولئك يحملهم القرآن الأثم وتبعات البهتان ويحملهم العقاب القضائي كما يتوعدهم بالعذاب في عالم الاخرة..

من الناس من يشعر بالغرور والتكبر ويستعلى على الاخرين، وربما كان عنده من المال أو الصحة البدنية أو الشكل الجميل أو الجاه أو السلطة أو العلم ما يجعله متفوقاً على الاخرين في هذه المجالات.. وعندما يشاهد اولئك الاقل لا يشكرﻻ الذي وهبه ما يتفوق به.. بل يستخف بالاخرين ويسخر مما عندهم أو يسخر بجهدهم المخلص وبكفاءتهم وقدراتهم.. ويتعامل معهم بسخرية واستهزاء وتعال عليهم ويمارس هذه الاساءة باستعلاء أو عندما يختلف معهم لأي سبب من اسباب الاختلاف لينال منهم.. والسخرية تنتحقق بالقول أو الاشارة أو تقليد الفعل كتقليد المشي والكلام بشكل ساخر..

والآيات الناهية عن السخرية الواردة في كتاب ﻻ كانت تعالج مشاكل واقعية في المجتمع انذاك وبعبارة اخرى لها سبب نزول كما في مصطلح علوم القرآن.. وكلمة قوم في لغة العرب تعني الجماعة من الرجال.. والقرآن يذكر هؤلاء الاخرين بقوله: (عسى أن يكونوا خيراً منهم).

ان من تسخرون منه عسى أن يكون خيراً منكم عند ﻻ سبحانه، أو لديه من امكانيات العقل الخير والنافع الحقية عليكم.. افضل مما عندكم، لعلها تظهر في ساعات الشدة والمحنة والاختبار.. انكم مغرورون بما عندكم وانكم مخطئون وواهمون عندما تتصورون ان ليس في هؤلاء الناس من هو خير منكم.. فاذا ذكر غيركم أو رأيتموه سخرتم منه.. وكما تحدث عن مجتمع الرجال توجه بالخطاب الى مجتمع النساء.. فالمرأة قد تسخر من المرأة الاخرى.. لاسيما في جمالها ومالها أو أسباب تفوقها الاجتماعي فتغار منها.. ويلقنها القرآن الدرس ذاته.. أيتها الساخرة عسى أن تكون المرأة التي تسخرين منها خير منك عند ﻻ أو لديها من الامكانيات غير الظاهرة لك ما تتفوق به عليك..